مجلة الشهاب • المجلد: 08، العدد: 03 (2022م) • ص ص 595 – 620
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

شعر التهاني للشّاعر لسان الدّين بن الخطيب في بلاط بني الأحمر بغرناطة الأندلسيّة

The Poetry of Congratulations to the poet Lisan Al-Din bin Al-Khatib in the court of Bani Al-Ahmar in the Andalusian of Granada

عمار عبد الرحمن إسماعيل أمبدة *
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة (السودان)
ammanb059@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/05/26 | تاريخ القبول: 2022/10/06 | تاريخ النشر: 2022/11/12

ملخص: تناولت هذه الدّراسة شعر التّهاني للشّاعر لسان الدّين بن الخطيب في بلاط بني الأحمر بغرناطة الأندلسيّة، وهدفت إلى معرفة اتّجاهات شعر التّهاني من النّاحية السّياسيّة والاجتماعيّة والدّينية. ومن ثمّ الوقوف على أنواعها المتمثّلة في التّهنئة بفتح البلدان، والانتصارات الحربيّة على الأعداء، وبالمناصب الإداريّة، والتّهنئة بالمولود، والقدوم من السّفر، والتّهنئة بشهر رمضان، وبالعيدين الإسلاميين، وعيد النيروز الفارسي. اتبعت الدّراسة المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستقرائي. وخلصت الدّراسة إلى عددٍ من النّتائج من حيث مُجملها: امتاز شعر التّهاني عند لسان الدّين بعذوبة الألفاظ ورقّتها، وعمق دلالاتها. توصي الدّارسة بمزيدٍ من الدّراسات حول شعر التّهاني في بلاط المدن الأندلسيّة الأخرى.

الكلمة المفتاحية: تهاني؛ شعر؛ لسان الدّين؛ بلاط؛ الأحمر.

Abstract : This study dealt with the congratulations poetry of the poet Lisan al-Din Ibn al-Khatib in the court of Bani al-Ahmar in the Andalusian city of Granada, and aimed to know the trends of congratulations poetry from the political, social and religious point of view. And then to stand on its types represented in congratulating the conquest of countries, military victories over enemies, administrative positions, congratulating the newborn, coming from travel, congratulating the month of Ramadan, the two Islamic holidays, and the Persian Nowruz festival. The study followed the descriptive analytical method and the inductive method. The study concluded with a number of results in terms of its entirety: The poetry of congratulations in Lisan ad-Din was distinguished by its sweetness and gentleness of words, and the depth of its connotations. The study recommends further studies on the poetry of congratulations in the court of other Andalusian cities.

Keywords: congratulations; poetry; Lisan ad-Din; tiles; red.

* المؤلف المراسل.

1. مقدّمة

الحمد لله الموفّق لكلّ خير، والحاثّ على كلّ بر، والدّال على كلّ فضل وإحسان، والصّلاة والسّلام على قدوتنا وحبيبنا محمد- صلّى الله عليه وسلّم- وعلى آله وصحبه ومن والاه- واهتدى بهداه- إلى يوم الدّين، وبعد:

فإن شعر التّهاني يمثّل ظاهرة جديدة في الشّعر العربي، ويعدّ لونًا من ألوان الشّعر الاجتماعي ذي الصّلات والرّوابط التّي تسهم في تماسك المجتمع، وباباً من أبواب التّعبير عن النّفس الإنسانيّة في حال فرحتها ومسرّتها، فهو يتناول بين سطوره معاني: الصّداقة، والمحبّة، والإخوة، وهو من أجل ذلك يقرب أن يكون من أرق الإخوانيات لفظًا وألطفها عاطفة.

تعد ظاهرة التّهنئة ظاهرة اجتماعيّة قديمة، عرفتها الأمم الأخرى وكانت لوناً من التّكافل الاجتماعي المهم آنذاك، وكان للتّهاني في الإسلام شأن فقد جاء في كتاب الله ما يماثل هذا المعنى ويضاهيه، ويضمن البشرى بما أتيح للسّعيد من مآل الخير كقوله تعالى:﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ (التوبة: 21)

ومع ازدهار المجتمع ونموّه وتحضّره، تعمّق هذا اللّون في الشّعر العربي أكثر فأكثر حتّى أصبح هذا الغرض غرضًا رئيسًا من الشعر الإخواني الذي يعبر عن عواطف الإنسان ودفقاته الشّعوريّة ومشاعره الإنسانيّة.

ويمكن القول إن شعر التّهاني من الأشعار التّي مالت إلى الرّقة، واللّين، والسّهولة، واليسر في التّعبير، كما أنّها حفلت بالتّصوير والابتكار في المعاني والصّور، وقد ساعدت طبيعة الحياة في عصر بني الأحمر وما فيها من غنى سياسي، وديني، واجتماعي، على انتشار هذا اللّون من الشّعر .

تقوم الدّراسة على تحديد مفهوم شعر التهاني عند لسان الدّين بن الخطيب(ت 776هـ) للتّعرف على حدود هذه الظاهرة المختلفة، وتناول المضامين من خلال المادة الشّعريّة التّي عبّرت عن هذا الموضوع، لذلك تلجأ الدّراسة إلى المنهج الاستقرائي في قراءة النّصوص وتتبعها في مصادرها، ومن ثمّ تناول هذه النّصوص الشّعرية وإبراز ملامحها وقضاياها، معتمداً في ذلك على المنهج الوصفي التّحليلي.

ومن ثمّ تقوم هذه الدّراسة على خمسة عناوين، خصّص الأوّل منها للتّعريف بالشّاعر، والثّاني للحديث عن الاتّجاه السّياسي في شعر التّهاني، وقد ضمّ التّهنئة بفتح البلدان، والانتصارات الحربيّة على الأعداء، كما ضمّ التّهاني بالمناصب الإداريّة التّي كان منها، التّهنئة بالخلافة، والوزارة.

وأمّا العنوان الثّالث، فقد تناول الاتّجاه الاجتماعي في شعر التّهاني، الذي ضمّ التّهنئة بالمولود، والقدوم من السّفر.

أمّا العنوان الرّابع، فقد تناول الاتّجاه الدّيني في شعر التّهاني، وقد ضمّ التّهاني بالأعياد الإسلاميّة التّي شملت، التّهنئة بقدوم شهر رمضان، وعيد الفطر، وعيد الأضحى.

أمّا العنوان الخامس، فقد تناول التّهاني بالأعياد غير الإسلاميّة التّي ضمّت التّهنئة بالأعياد الفارسيّة.

2. التعريف بالشاعر

2.1. اسمه ومولده ونشأته:

هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلماني الخطيب الشّهير بلسان الدّين بن الخطيب، واشتهر بلقب ذي الوزارتين: الأدب والسّيف. ولد لسان الدّين بن الخطيب في مدينة (لوشة) في الخامس والعشرين من شهر رجب عام ثلاثة عشر وسبعمائة، ونشأ في أسرة عرفت بالعلم والفضل والجاه، وكان جدّه الثّالث(سعيد) يجلس للعلم والوعظ فعرف بالخطيب ثم لحق اللّقب بالأسرة منذ إقامتها في لوشة وكانت أسرة ابن الخطيب من إحدى القبائل العربية القحطانيّة الّتي وفدت إلى الأندلس. (المقري، 1968م، ص75)

2.2. حياته ووفاته:

كان يعيش في عصر بني نصر وهم حكّام مملكة غرناطة. درس الأدب والطب والفلسفة في جامعة القرويين بفاس، انتقلت أسرته من قرطبة إلى طليطلة بعد وقعة " الرّبض" أيام الحكم الأول، ثم رجعت إلى مدينة لوشة واستقرت بها. وبعد ولادة لسان الدّين انتقلت العائلة إلى غرناطة حيث دخل والده في خدمة السّلطان أبي الحجّاج يوسف، وفي غرناطة درسة لسان الدّين الطّب والفلسفة والأدب. ولمّا قتل والده سنة (741هـ) في معركة (طريف) كان مترجمًا في الثّامنة والعشرين، فحلّ مكان أبيه في أمانة السّر للوزير الحسن بن الجيّان(ت 751هـ). وبعد وفاته تولى لسان الدّين منصب الوزارة. ولما قتل أبو الحجّاج يوسف سنة (755هـ) وانتقل الملك إلى ولده الغني بالله محمد(ت 793هـ)، استمر الحاجب رضوان(ت760هـ) في رئاسة الوزارة وبقي ابن الخطيب وزيرًا.

ثم وقعت الفتنة في رمضان من سنة 760 هـ، فقتل الحاجب رضوان وأقصي الغني بالله الذي انتقل إلى المغرب الأقصى وتبعه ابن الخطيب وبعد عامين استعاد الغني بالله الملك وأعاد ابن الخطيب إلى منصبه وتعرف على علماء المغرب وأصحاب مناصبها كابن خلدون الحضرمي الإشبيلي(ت808هـ) وغيره، وبدأ فيها يكتب بعض آثاره المنظومة والمنثورة. كما وتقلّد بعض المناصب الحكومية ولذلك كان يتوخى تسلم زمام الأمور على الإطلاق، فأخذ يقوم بإبعاد رقبائه، الأمر الذي كلّفه حياته. حتى أنه لم يكن يحتمل وجود صديقه الشهير عبد الرحمن ابن خلدون(ت 780هـ) في غرناطة، إذ كان يقلقه اهتمام الغني بالله به. ثم شعر ابن الخطيب بأنّ أعداءه، أخذوا يكيدون له عند الغني بالله، وتخيّل أن الغني بالله أخذ يميل إلى قبول وشاياتهم، فاتّصل سرّاً بسلطان المغرب أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المريني(ت 774هـ)، فوعده بأن يؤمّن له الحماية اللازمة والرعاية الكافية، وأخذ منه عهداً بالإقامة في كنفه. عندئذ استأذن الغنيّ بالله في

تفقّد الثغور، وسار إليها في لمّة من فرسانه، ومعه ابنه عليّ، فمال إلى جبل طارق، فتلقّاه قائد الجبل، بناء على أمر سلطان المغرب أبي فارس المريني فأجاز إلى سبتة في جمادى الآخرة من عام 773 هـ، ثم توجّه إلى فاس عاصمة الدولة المرينية فوصلها في التاسع عشر من رجب من العام المذكور، واستقبله السلطان أحسن استقبال، وأحلّه من مجلسه محل الاصطفاء . وفي الشهر نفسه من السنة نفسها أرسل سلطان المغرب سفيره إلى غرناطة، فأتى بأسرة ابن الخطيب مكرّمة. حينها وجّه إليه القاضي النباهي(ت 792هـ) تهمة الإلحاد والزندقة والطعن في الشريعة والوقوع في جناب الرسول الكريم، بعد أن نعى عليه تدخّله في شؤون القضاء أيام ولايته القضاء، فأصدر فتوى بإحراق كتبه، فأحرقت في ساحة غرناطة، وصودرت أملاكه، واستحثّ سلطان المغرب على تسليمه لإجراء العقوبة عليه، فرفض. ولمّا توفي سلطان المغرب أبي فارس فقد ابن الخطيب حاكماً مخلصاً يحميه من أعدائه.

وكان ابن الأحمر يتوق إلى الانتقام منه فبعث وزيره أبا عبد الله بن زمرك(ت793هـ) تلميذ الخطيب وخلفه في الوزارة ليعمل على تحقيق هذه الرغبة بالتعاون مع حكومة فاس ووجهت إلى ابن الخطيب التهم القديمة التي وجهت إليه في غرناطة وصاغها القاضي في قرار اتهامه ورأي سلطان المغرب أن يعقد مجلسا من رجال الدولة والشورى واستدعى ابن الخطيب إليه لمناقشته ومواجهته بالتهم المنسوبة في حقه وأخصها تهمة الإلحاد استناداً إلى ما ورد في بعض كتاباته ولاسيما بعض آراء وعبارات وردت في كتابه «روضة التعريف بالحب الشريف» فدس عليه الوزير سليمان بن داود (ت 787هـ) بعض من حاشيته فطرقوا سجنه ليلاً ومعهم بعض الخدم الأندلسيين الذين جاءوا مع سفراء بن الأحمر وقتلوه خنقًا في سجنه وأخرجوا جثته في الغد ودفنت بالمقبرة الواقعة تجاه باب المحروق أحد أبواب فاس القديمة ثم أخرجت جثته في اليوم التالي وطرحت فوق القبر وأضرمت حولها النار فأحترق شعر الرأس، وأسودت البشرة ثم أعيدت الجثة إلى القبر وتركت لتثوى الثواء الأخير ووقعت هذه المأساة الأليمة في ربيع الأول أو الثاني سنة 776هـ. (المقري، 1968، ص289- 290)

2. 3. **مؤلفاته**:

ترك ابن الخطيب آثاراً متعددة تناول فيها الأدب، والتاريخ، والجغرافيا، والرحلات، والشريعة، والأخلاق، والسياسة والطب، والموسيقى، والنبات، منها على سبيل المثال:

- الإحاطة في أخبار غرناطة.
- اللّمحة البدرية في الدولة النّصرية.
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام.
- كناسة الدّكان بعد انتقال السّكان.
- خطرة الطيف في رحلة الشّتاء والصّيف.
- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والدّيار.
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب.
- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب.

3. الاتجاه السّياسي في شعر التهاني

يعدّ هذا الاتّجاه مجالًا واسعًا لقول الشّعر، ومحفّزًا لقرائح الشّعراء، وذلك بسبب سخونة بعض الأحداث السّياسيّة وقوّة صداها، من ذلك الفتوحات التّي تغنّوا بها، وقدّموا فيها التّهاني والتّبريكات للقادة والخلفاء، وكذلك الانتصارات التّي غيّرت صفحات في التّاريخ، وأرست قواعد لأجيال قادمة، حيث كانت حرية باهتمام الشّعراء بهولاء القادة، وبيان دورهم في ترجيح كفّة الوقائع، ونظّمت قصائد في تهنئة الخليفة عند الولاية والتّتويج بالمنصب، وبهذا أصبحوا قبلة للوفود المهنّئة، والمباركة لهم بهذه الإنجازات.

ولقد جاءت التّهنئة في هذا الاتّجاه بأشكال مختلفة، وطرائق متعدّدة، منها:

3. 1. التّهنئة بفتح البلدان :

اتّسعت رقعة الدّولة الإسلاميّة اتّساعًا كبيرًا، وازدادت مساحتها، فقد كان عصر الخلفاء الرّاشدين والعصر الأموي والعصر العبّاسي مليئة بالفتوحات، في حين شهد العصر الأندلسي ظروفًا داخليّة أثّرت على جو السّياسة فيه (زكي المحاسني، 1985م، ص150) ولكن بالرّغم من الظّروف التّي عصفت بهذا العصر، إلّا أنّه بقى له فتوحاته وحروبه التّي سطّر فيها الأبطال أعمالًا بقيت خالدة، ورافقت هذه الفتوحات أشعار كثيرة، تغنّى الشّعراء فيها بالبطولة والانتصار، وقدّموا التّهاني بتلك الفتوحات، وامتدحوا القادة الشّجعان، الذين كان لهم في ميادين القتال جولات واسعة، وتحدّثوا عن صنائعهم في تلك الحروب، وإقدامهم في تلك المعارك، إلى جانب ما شاهدوه من المعاقل، والحصون، وحديثهم عمّا نزل بأعدائهم من الهزائم.

ومن هذه التّهاني التّي قدّمها لسان الدين بن الخطيب؛ للحجّاج بن نصر(ت 755هـ) عندما فتح حصن (كَرْكَبُولَ) من أقاليم قرطبة. فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص103-104)

[الكامل]

بُشرَى يَقومُ لَها الزّمانُ خَطيبًا .:. وَتَأَرَّجُ الآفاقُ منها طِيبَا
هَذا طُلُوعُ فُتُوحِكَ الغُرِّ التّي .:. مَا كان طَالِعُ سَعْدِهَا لِيَغِيبَا
أظْهَرْتَ دِينَ اللهِ في ثَغْرِ العِدَى .:. وَقَهَرْتَ تِمْثالًا به وَصَلِيبَا
أَلْبَسْتَ مَلكَ الرّومَ عَارًا بَاقِيًا .:. وَكَسَوْتَ غَمًّا وَجْهَهُ وَقُطُوبَا
لله يَومُ الفَتْحِ مِنْهُ فإنّهُ .:. يومٌ على الكُفّارِ كَانَ عَصيبَا
فَتْحٌ تَفَتَّحَتِ المُنَى عَنْ زَهْرِهِ .:. وَافْتَرَّ ثَغْرُ الدّهْرِ عَنْهُ شَنِيبَا
واهْنَأ أبَا الحَجّاجِ بالفتح الذي .:. يُهْدِي إليكَ من الفُتُوحِ ضُرُوبَا
وَانْعَمْ بِموقِعِهِ الجَميلِ فَإنّهُ .:. يُشْجِي عَدُوًّا أو يَسُرُّ حَبِيبَا

في هذه الأبيات يهنئ الشّاعر الممدوح بالفتح والنّصر الذي حققهما على ملك الرّوم، ويشير إلى أنّ هذا الفتح لا يأفل ولا يقف على هذا فقط بل يتعدّاه إلى قهره وتغلبه على الصليبيين مما جعل القيصر يتّكس رأسه عارًا، وخزيًا؛ من الهزيمة النكراء التّي ألحقت به. وظهر ذلك جليًّا في عبس وجهه وقطوبه. ثم

يتّجه إلى وصف يوم الفتح الذي كان يومًا عصيبًا وشديدًا عليهم وقد تمّت على إثره الأمنيات وحُققت. ويختم أبياته بالتّهنئة بالفتح كما بدأها، مشيرًا إلى أنه ناصية الفتوح ومبتداها وأنه جاء مكيدًا للأعداء غائظًا لهم، وسارًا للأحباب والأنصار.

استخدم الشّاعر في أبياته السّابقة الأساليب المختلفة متنوّعة الدلالة، فتعددت أساليبه وتنوّعت بين الخبريّة والإنشائيّة حيث نجده أكثر من الخبريّة، كذلك أكثر من ألفاظ الجموع الدّالة على الكثرة مثل: فتوح، ضروب. ووظّف الاستعارات والكنايات توظيفًا جيّدًا أظهر مقدرته اللّغويّة في الانحراف والانزياح اللّغوي، كما في: ألبست ملك الرّوم عارًا باقيًا، قهرت تمثالًا، افترّ ثغر الدّهر، كسوت غمًّا وجهه.

ومن الأساليب الإنشائيّة التّي استخدمها: أسلوب الأمر الدّال على الطّلب في: واهنأ أبا الحجّاج، وانعم بموقعه الجميل. ونجد أن الأفعال المضارعة التّي استخدمها الشّاعر دالة على استحضار الحال وتكراره.

أمّا الدّلالة الصّوتيّة فتكمن في تكراره للأصوات المجهورة كذلك المهموسة في الأصوات المهموسة التّي كثر تكرارها في النّص: صوت التّاء: فتوحك، أظهرت، قهرت، تمثالًا، ألبست، كسوت، الفتح، افتر، الفتوح. وتكمن دلالته في: الاستمرار وعدم الانقطاع والحركة.

كذلك صوت الباء في: بشرى، خطيبا، طيبا، يغيبا، صليبا، باقيا، قطوبا، عصيبا، أبا، ضروبا، حبيبا. ودلالته كامنة في الثبات والقوّة ودقّة التّصوير إضافةً إلى الإيقاع الموسيقي للنّص.

وفي موقع آخر يهنّئه بفتح (جبل طارق) وكان هذا الجبل محطّ عناية كلّ غاز فكان أحيانًا يستولي عليه المسلمون وأحيانًا أخرى النّصارى. يقول: (لسان الدّين، 1989م، ص114)

[الطّويل]

هَنِيئًا بِصُنعٍ قَد كَفاكَ عَظِيمُهُ .:. رُكُوبَ المَرامِي واخْتِيارَ المَوَاكِبِ
وَدُونَكَ فَافْتَحْ كُلَّ ما أبْهمَ العِدَى .:. وَرُدَّ حُقُوقَ الدّينِ مِنْ كُلِّ غَاصِبِ
وَيَا جَبَلَ الفَتْحِ اعْتَمِدْهَا صَنِيعَةً .:. رَأينَا بِها كَيفَ انْجِلاءُ الغَيَاهِبِ
إذَا مَا هِباتُ الله كانت صَحِيفةً .:. فَما هِيَ إلّا سَجْدَةٌ في المَوَاهِبِ

في هذه الأبيات هنّأ الشاعر الخليفة بأعظم فتح ـ فتح جبل طارق ـ وتمنى له بلوغ فتح كل ما عجز عن فتحه الأعداء، ووضع على عاتقه رد الحقوق إلى أهلها وما ذاك إلا لثقته بقدرته ـ بعون الله ـ على ردها، ويواصل مخاطبًا الجبل أن يحفظ للخليفة جميله وصنيعه بتخليصه من قبضة الأعداء بعد أن أزال عنه الغياهب، وفي هذا تصوير بليغ بتطويع الاستعارة في (ويا جبل الفتح اعتمدها صنيعة ...) ويشير في ختامه للأبيات أن كلّ ذلك لم يكن ليحدث لولا هبات الله وعونه، فالنّصر أولًا لله عز وجلّ.

ونجد أنّ الشّاعر قد أكثر من استخدامه للجموع (مرامي، مواكب، حقوق، غياهب، مواهب) وهي ألفاظ دالة على الكثرة، كما نوّع بين الأفعال، وأسماء الأفعال نحو (دونك) ونوّع كذلك بين الأساليب الخبرية والانشائية، كل ذلك يعكس بلاغته التي امتاز بها.

ويكثر لسان الدّين بن الخطيب من تصوير الفرح بالانتصار على الأعداء، ومنها انتصار الحجّاج بن نصر على الرّوم بحصن (أحواز شَوْذَرٍ) فيصور الشّاعر هذا الفرح في تهنئته للخليفة، بهذا النّصر الذي مدّه الله للحجّاج ليكون فتحًا ليس له مثيل. فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص220-221)

[الطّويل]

هُوَ النَّصرُ بَادٍ للعُيونِ صَبَاحُهُ .:. فَمَا عُذْرُ صَدْرٍ لَيسَ يَبْدُو انْشِرَاحُهُ

وَمَهْمَا اسْتَعَنْتَ الله في الأمرِ وَحْدهُ .:. أتَاكَ به من كُلِّ أمرٍ نَجَاحُهُ

فَما ضَلَّ مَنْ كان الإلهُ دَلِيلَهُ .:. وَما ذَلَّ مَنْ حُسْنُ اليقِينِ سِلاحُهُ

فَهُنِّيتَهُ صُنعًا جميلًا وَمَوردًا .:. مِنَ النَّصرِ يَنْدَى في القلوب قَرَاحُهُ

وبعد النّصر الذي حققّه الحجّاج على الأعداء؛ أشار الشّاعر إلى الاستعانة بالله في كل شيء، وهي رسالة منه لكل مسلم أن يستعين بالله؛ لأن الاستعانة بالله، ضروريّة ومهمة في حياة المسلم ولن يستطيع أن ينجز شيئًا من أعماله الدينيّة أو الدّنيويّة إلّا بعد توفيق الله وإعانته وتسهيله وتيسيره له. وكأنّما يريد الشّاعر أن يذكّرنا بقوله رسول الله- صلى الله عليه وسلم- :(احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزنّ) (مسلم، 1980م، ص119)

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ الشّاعر لسان الدين بن الخطيب أُعجب بالانتصارات، فقام بتهنئة الخلفاء والقادة الشّجعان، فمجّد بطولاتهم، وعظّم أفعالهم، وأظهر أثر هذه الفتوحات في نفوس المسلمين، حتّى أصبحت كأنّها أعياد تُزيّن أيّامهم، وبيان دور الخلفاء والقادة في نصرة الإسلام، والثّأر له، وذلك بتصويره سيوفًا من سيوف الله تُسلّ على أعدائه.

3.2. التّهنئة بالانتصارات الحربيّة على الأعداء:

تعدّ صور الانتصارات من الصّور التّي استهوت الشّعراء، وتركت في نفوسهم الأثر الواضح، حيث صوّر الشّعراء انتصارات القادة والأبطال الذين خاضوا المعارك، وسجّلوا الانتصارات، مبينين في أغلب قصائدهم تمجيد القوّة وآلاتها، وكما أنّ الأمر لم يقتصر على الإشادة بالانتصار بل تجاوز ذلك إلى موضع الصّراع في إطاره الإسلامي الشّامل، باعتباره صراعًا بين الإسلام وأعدائه، لذلك دأب الشّعراء على ربط انتصارات المسلمين بعقيدتهم، كما ركّز الشّعراء في تهنئاتهم بالانتصارات على المقابلة بين حال المسلمين وأعدائهم، ليبرزوا قوّة المسلمين، وتضخيم انتصاراتهم، في الوقت الذي يصوّرون به هزائم الأعداء، والاستخفاف بهم وبقادتهم.

أعقبت هذه الانتصارات أشعار تشيد بهذه البطولات، وتهنئ القادة والأبطال وتتغنى بأفعالهم، وانتصاراتهم، فها هو لسان الدين بن الخطيب يصوّر ما قدّمه أمير المسلمين "الحجّاج بن نصر" في محاربة الرّوم وانتصاره عليهم، مبيّنًا في ذلك شجاعة قومه في ساحات الوغى، وأنّ الله سبحانه وتعالى معهم وناصرهم، حيث تبدو الرّوح الحماسيّة واضحة في هذه الأبيات، فالطّعن يوم الملتقى، وأجسام العدى أشلاء. ومن هنا كان صدى النّصر ومنافعه عائد إلى الأمّة، لذا كان هذا القائد جديرًا بأن تقدّم له التّهاني

والتّبريكات من خلال هذا الثّناء الذي أعقب النّصر. يقول: (لسان الدّين، 1989م، ص94)

[الكامل]

لله قَومُك آلُ نصرٍ والقَنَا :.. قِصَدٌ وأجسامُ العِدَى أشْلاءُ
الطّاعنونَ الخَيلَ يَومَ المُلتقَى :.. والمُطْعِمُونَ عَدَتْ شَهْبَاءُ
سِيمَاهُمُ التَّقوَى أشِدَّاءٌ عَلى الـ :.. كُفَّارِ فِيمَا بَينهُم رُحَمَاءُ
نَصَرُوا الجَزِيرَةَ أوَّلًا وَنَصِيرُهَا :.. ضَاقَتْ عَلَيهِ بِرَحْبِهَا الأنْحَاءُ
وَأَتَوْا وَدِينُ الله لَيسَ بَأهلِهِ :.. إلَّا أَلِيلٌ خَافِتٌ وَذَمَاءُ
قَمَعُوا بِهَا الأعدَاءَ حتّى أذعَنُوا :.. والبيضُ من عَلَقِ النَّجيعِ رِوَاءُ
لَمْ يَأمنُوا مَكْرَ الإلاهِ وإنَّما :.. إمْهَالُهُم عَنْ وِرْدِهِ إمْلاءُ
إنْ أبْرَمُوا أمْرًا فَربُّكَ مُبْرِمٌ :.. أمرًا وإنَّهُمُ هُمُ السُّفَهَاءُ
واللهُ جَلَّ أسْمًا لِمُلْكِكَ نَاصرٌ :.. والله فِيهِ كِفايةٌ وكِفَاءُ
فَمَنِ المُدَافِعُ والمَلائِكُ حِزْبُهُ :.. والله رِدْءٌ والجُنُودُ قَضاءُ
وإذا هُمْ عَادُوا لِمَا عَنْهُ نُهُوا :.. فَغِرَارُ سَيْفِكَ لِلعُصَاةِ جَزَاءُ

صوّر الشّاعر في هذه الأبيات حال المنتصرين، واصفًا لهم بالشّجاعة عند ملاقاة عدوّهم، وواصفًا كرمهم وأنّهم قوم تقاة وظاهر ذلك جليًّا في سيماهم فهم رحماء فيما بينهم غلّاظ مع أعدائهم أشدّاء عليهم وفي ذلك تناص قرآني مقتبس من قوله تعالى:﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾ (الفتح: 29). وبهؤلاء القوم تمّ النّصر، وقُهر الظلم.

ويمضي الشّاعر في تصوير معاركهم التّي كان نتاجها النّصر العظيم، مشيرًا إلى أنّ سيوفهم قد ارتوت من تلك الدماء المهدرة. ويضيف أنّهم لبسوا من أؤلئك الذين أمنوا مكر الله وإمهاله لهم لأنّه من يفعل ذلك يعدّ خاسرًا من الخاسرين، وفي هذا أيضًا تناص قرآني مقتبس من قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ الله ولا يَأمَنُ مَكْرَ اللهِ إلّا القَومُ الخَاسِرُون ﴾ (الأعراف: 99). وختم أبياته أنّ كل هذا النّصر لم يكن ليحدث لولا الله سبحانه، فهو ناصر وكافٍ عبده. فنصر الله أوّلًا ثمّ الملائكة والجند. وأشار إلى أنّ الحجّاج يجازي أعداءه ويقف في وجههم بعزمه وسيفه.

وفي الأبيات أكثر الشّاعر من استخدام الجمل الخبريّة الدّالة على الوظائف النّحويّة المبيّنة للمعنى والمصوّرة للأحداث. كذلك استخدم اسم الفاعل: الطّاعنون، ناصر، للدّلالة على: الحركية في: الطّاعنون، وتأكيد النّصر في: ناصر، لما امتازوا به من قوّة الإيمان.

وكذلك طوّع الشّاعر الأفعال الماضية نحو: نصروا، ضاقت، أتوا، قمعوا، أذعنوا، أبرموا، عادوا. للدّلالة على الحدوث وإظهار القوّة والمقدرة على خوض المعارك والأتيان بالنّصر.

ونجد أنّ الشّاعر استخدم صيغة المفعول في: المطعمون ليدل بها على: الاستمرار. كذلك استخدم أسلوب الشّرط في: إن أبرموا... وفيه دلالة على إظهار التّشجيع والشّجاعة، والحماس، والتّذكير بعون الله ونصره لا محالة. وفي: أنّهم سيغلبون، ويهزمون.

بدأ الشّاعر أبياته السّابقة بشبه الجملة" لله قومك" للدّلالة على أهميّة ما بعدها، واستخدم الكنايات المختلفة في: البيض من علق النّجيع رواء، والمطعمون عدت شهباء، والطّاعنون الخيل يوم الملتقى، وفيها أيضًا مجاز.

كما استخدم أسلوب الجمع والتفريق أو التقسيم في قوله: سيماهم التّقوى أشدّاء على الكفار فيما بينهم رحماء. ونجد أنّ في اختياره كلمة "رواء" بدلًا عن غيرها دلالة على كثرة الدّماء التّي ارتوت منها السّيوف فدلالة ارتوت أعظم من دلالة تلطّخت.

وقال يهنئ الحجّاج بن نصر بظفر جيشه بانتصارهم على الرّوم في واقعةٍ بحرية: (لسان الدّين، 1989م، ص538-539)

[الكامل]

فَتَحَتْ سُعُودُكَ كُلَّ بَابٍ مُبْهَمٍ .:. وجلا يَقِينُكَ كُلَّ خطْبٍ مُظْلِمِ
تِلْكَ الجواري المُنْشآتُ صَدَاقُهَا .:. مُهَجُ العِدى وَخَلُوقُهُنَّ مِنَ الدَّمِ
حَمَلَتْ رِجالًا كَاللُّيُوثِ مَصَاعِبًا .:. صُبُرًا على لَفْحِ المِصَاعِ المُضْرَمِ
قَصَدَتْ بِهم بَحر الزُّقاق عَزِيمةٌ .:. قَدْ جَرَّدَتْ أسْيَافَها لم تَكْهَمِ
نادى لِسانُ النَّصرِ يُفْصِحُ نَاطقًا .:. يَا أسْرَةَ الدِّين الحَنيفِ تَحكَّمِي
كَمْ رَايةٍ لِلفتحِ فَوقَ رُؤسِهِمْ .:. خَفَقَتْ وكم مَلكٍ هُناكَ مُسَوَّمِ
فَتركْنَ أحْزابَ الصَّليبِ كَأنَّمَا .:. ثَمِلُوا بِمَختُومِ الرّحيقِ مُفَدَّمِ
صَرْعَى على عَفْرِ الرِّمالِ وَليمةً .:. لِلحوت أو لِلطَّيرِ أو لِلضَّيغَمِ
وَقَدَحْتَ فَوْقَ المَاءِ نَارًا تَلْتَظي .:. وَسَفَحْتَ فَوقَ البحرِ بحرًا من دَمِ
بِكْرُ الفُتُوحِ نَضَتْ لديك نِقَابَهَا .:. مِن بَعْدِ طَولٍ تَقَنُّعٍ وَتَلَثُّمِ
فَاهْنَأ به صُنْعًا جَميلًا وَارتقِبْ .:. من بعدهِ إتْيَانَ صُنْعٍ أعْظَمِ

يُظهر الشّاعر عناصر القوّة في هذه المعركة من الجوار المنشآت، ورجال كالأسود، والسّيوف التّي تتعرّض للشّر، فقد رمى الحجّاج بن نصر إلى الأعداء برجالٍ كاللّيوث جعلت مكان الواقعة في البحر نارًا تلتظي، فصار الأعداء صرعى، وسالت دماءهم فوق البحر بحرًا من دم، وأصبحوا وليمة للحوت والطير والأسد.

والأبيات صاغها الشّاعر بأساليب إنشائيّة وبلاغيّة متنوّعة من استفهام إلى نداء، وتشبيه وغيرها. وفي

ظنّنا أنّ هذا التّنويع الإنشائي والبلاغي من شأنه أن يرتقي بالنّص الشّعري ويسمو به؛ لما فيه من إثراء للمعاني والأفكار وتوسيع للحدود والأبعاد، فضلاً عن استثارة الأذهان وتنشيطها.

وفي موقع آخر، يقدّم الشّاعر التّهنئة للحجّاج بن نصر بعد ما بددّ شمل النصارى؛ ليقدّم لسان الدين معنى جديدًا في تهنئته وذلك أنه لا يهنئ ممدوحه بالعيد وإنّما يهنئ العيد به، فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص270-271)

[الطويل]

هَنيئًا لك العيدُ الذي أنت عِيدُهُ .:. وفي الله ما تُبْدِيهِ أو ما تُعيدُهُ

أَتيتَ المُصَلَّى والجُنودُ روائحٌ .:. تَغَصُّ بها أغْوارُهُ وَجُنُودُهُ

وآيةُ نصرٍ في حِجابِ مَهَابَةٍ .:. تُدافعُ عَنْ دِينِ الهُدى مَنْ يَكيدُهُ

وبدَّدتَ شَمْلَ الكُفر بعد ائتلافهِ .:. فَأَضْحَى عَميدًا في الرُّغَامِ عَمِيدُهُ

استخدم الشّاعر في هذه الأبيات صورة مقلوبة للمعنى، إذ أنّه يرى أنّ الحجّاجهو فرحة العيد وليس العيد هو فرحته، ويمضي في التّهنئة ويضيف أنّ أفعاله كلّها ما هي إلّا اخلاصًا لله أوّلًا وأخيرًا. ثم يبيّن ويصوّر الحجّاج وهو داخل إلى المصلّى يصلي بالجند، ويشير إلى أنّ علامة نصره تتجلى وتكمن في هيبته ومهابته. وأنّ مثل هذه الشّخصيّة لها كامل الح للدّفاع عن الدّين والوقوف في وجه من يكيده.

وأكثر الشّاعر من استخدام صوت الدّال كما في: العيد، عيده، تبديه، تعيده، الجنود، جنوده، تدافع، دين، يكيده. وهذا إن دلّ إنّما يدلّ على الاضطراب، والقوّة، والهيبة، والمتانة. واستخدم الانزياح اللّغوي في: تغصّ بها أغوراه.

ومن هنا قدّمت صور الانتصارات على الأعداء أجمل التّهاني بهذه المناسبة التّي تظهر قدرة الرّجال على خوض المعارك، وقد كانت بعض هذه التّهاني تحمل معاني جديدة، تختلف عن المعاني التّقليديّة للتّهاني التّي قدّمها الشّعراء، كأن يهنئ الشّاعر ممدوحه بالعيد، أو يهنئ البطولة به، أو يهنئ المجد والعلى بالممدوح، محاولًا الخروج عن الصّور التّقليديّة، وابتكار معاني جديدة للتّهاني تحمل دلالات جديدة، تُعلي من شأن الممدوح، وترفع من مكانته التّي تراها أحيانًا فوق التّهنئة.

3.3. التّهنئة بالمناصب الإداريّة:

اهتمّ النّاس منذ القدم بالمناصب والرّتب العالية، وسعوا إليها سعيًا مضنيًا، وتسبّبت بكثير من النّزاعات، حتّى أنّها وصلت إلى معارك ضاربة بين المتنازعين، لما لهذه المناصب من أهميّة في المجتمع، ولما لأصحابها من مزايا، فيقبل الشّعراء على أصحاب هذه المناصب سواء كانوا خلفاء أو أولياء عهد أو وزراء أو أصحاب ولايات بالتّهاني، لما لهذه المناصب من أهميّة ومكانة في المجتمع.

ومن التّهاني بالمناصب الإداريّة التّالي:

3. 3. 1. التّهنئة بالخلافة:

يشغلُ منصب الخلافة شريحة عريضة من النّاس طوال حياتها، ويسعى الإنسان إليها جاهدًا بغية الوصول للمكانة المرموقة التّي يرنو إليها، لما يلقاه من احترام وتبجيل، وحياة مترفة هانئة، وشعور بالفخر والاعتزاز، لذلك انتشرت ظاهرة التّهاني بتولي الخلافة التّي تعدّ بوصلة الأمة، لأنّها تخطّ الدّساتير، وترسم السّياسة الاستراجيّة لها، فهذا لسان الدين يهنئ أمير المسلمين الحجّاج بن نصر بالخلافة، فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص120-121)

[الطّويل]

سُعُودُكَ لا ما تدَّعيهِ الكَواكبُ .:. وَجُودُكَ فِينا لا السَّحابُ السَّواكِبُ
وَأطْلَعَ سَعْدٌ مَنْكَ بَدْرَ خِلافةٍ .:. تُنيرُ به الدُّنيا وتُجْلَى الغَياهِبُ
وَمَنْ ذا لهُ فخرٌ كسعدٍ على الورى .:. فَسَعْدٌ وزِيرٌ للنَّبِيّ وصَاحِبُ
وَوافَقَ شَهْرُ الصّوم منك خَليفةً .:. لهُ في مقامِ الذّكرِ قَلْبٌ يراقبُ

يبيّن الشّاعر حال الخلافة الجديدة التّي وافقت شهر رمضان؛ والتّي من حسن طالعها أن يقودها الحجّاج، لتتجلى وتستنير به، ويعلي الشاعر من شأن ممدوحه مبيّنًا صورة قدومه، لنرى قدومه، كقدوم السّحاب الذي يفيض عليهم بجوده، وتارةً يطلع عليهم كبروز البدر في كبد السّماء، مشعًّا ومضيئًا لهم طريقهم، فهذه صفات الخليفة التّي جعلته أهلًا للخلافة.

ومن ثمّ صفات كهذه الّتي شبّه الشّاعر بها ممدوحه وضمّنها نصّه السّابق كانت قد أدّت وظيفتها ودورها ودلالتها المعنويّة؛ لأنها" بنية حيّة متحرّكة ومؤثّرة لها خصوصيتها الفنيّة المتجدّدة في البناء العام للقصيدة العربيّة". (مطلك، 1987م، ص244)

وفي قصيدة أخرى يهنّئه بحقه في الخلافة والقيادة، ويصف هذا الحق بأنّه شرعي، انتقل إليه من جدوده الأنصار، فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص670)

[الطّويل]

وأنْتَ أبَا الحَجَّاج حُجَّةُ دِينِنَا .:. بِكَ الله يَجْلُو الشَّكَّ والسُّوءَ يَصْرِفُ
وأنتَ ابْنُ أنْصَارِ الهُدَى وَحُمَاتِهِ .:. هَنيئًا لَهُمْ هذا الثَّنَاءُ المُخَلَّفُ

في الأبيات دلالة على أنّ الحجّاج هبة من هبات الله تعالى التّي جلّا بها الشّك، وصرف بها السّو، فهو من سلالة أنصار الهدى لذلك كان حريًّا أن يقدّم له التّهنئة بالخلافة التّي سيقت إلى أهلها فهو خلف لأسلافه.

وفي البيت الأول استخدم الشّاعر أسلوب النّداء، وحذف أداة النّداء للدّلالة على قرب المنادى. وكرّر كلمة" أنت" وفي هذا التّكرار دلالة على: العظمة والرّفعة.

ولا يغفل الشّعر المكانة الدّينيّة للخليفة، ودوره في نصرة الدّين، فيقول لسان الدّين في تهنئته بالخلافة

لأمير المسلمين عبد الله بن الحجّاج بن نصر(ت 793هـ)، مستدركاً مناقبه ودوره في إعانة الناس على مصائب الدّنيا ومساندته ودفاعه ونصرته لهذا الدّين، لتغدو النّفوس كأنها قد تفرّقت قبله، ولا سبيل إلى التحامها وتماسكها إلّا بمثل عبد الله بن الحجّاج، ولعلّ هذه رسالة إلى الخليفة الجديد الذي يأتي بعده ليسير على خُطاه: (لسان الدّين، 1989م، ص307)

[الطّويل]

مُحَمَّدُ قَدْ أَحْيَيْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ .:. وأَنْجَزْتَ من نَصْرِ الهُدَى سَابِقَ الوَعْدِ
هَنِيئًا لِمُلْكٍ فَاتَحَتْكَ سُعُودُهُ .:. وَعِزٌّ على الأيَّامِ مُنْتَظِمِ العِقْدِ
وَعُقْدَةِ مُلْكٍ كانَ رَبُّكَ كَالئًا .:. لَها وأَصِيلُ السَّعْدِ يُغْنِي عَنِ النَّقْدِ
جَمَعْتَ بِها الأهْواءَ بعدَ افْتِراقِهَا .:. فَقَدْ كان فيها الضِّدُّ يَأْنَسُ بالضِّدِّ

يخاطبه في هذه الأبيات باتباعه سنة النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- وأنه سائر على نهجه، فجاءت التّهنئة بالفتح الذي يعدّ سمط تلك الأيام وعقدها. ويشير إلى أنّه جمع الأهواء بشتّى أنواعها، وجمال الشيء يظهر في ضدّه ويكتمل به كما قيل: والضّدّ يظهر حسنه الضّدّ.

استخدم الشّاعر أداة التحقيق"قد" ليدل بها أنّ ممدوحه قد أحيا ذلك الدّين وقام بإنجاز وتحقيق الوعد بالنّصر. وأكثر من الجمل الفعليّة الدّالة على الحركيّة والفاعليّة. نحو: أحييت، أنجزت، جمعت. كل الجمل في النّص هي جمل خبريّة. واستخدم الطّباق في: محمد ومحمد. وحذف أداة النّداء في أول النّص للدّلالة على قرب المنادى.

وفي قصيدة أخرى ينتقل الشّاعر إلى مدح أبي بكر السّعيد(ت762هـ)، فيقدّم التّهنئة له بالخلافة، التّي ورثها عن أهله، مبيّنًا أهميّته، فهو خير من يقود الخلافة بعد أبيه، حيث الإسلام وأهله سعداء به، فهو نصيرهم في السّراء والضّراء، ممتثلًا في ذلك أوامر الله سبحانه وتعالى، فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص383)

[الطّويل]

هَنِيئًا بِما خُوِّلْتَ مِن رِفْعةِ القَدْرِ .:. وَدُمْتَ قَرِيرَ العينِ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ
وَبُشْرَى بِمُلْكٍ قد طَلَعْتَ بِأُفْقِهِ .:. هِلالاً لهُ سَيرٌ إلى رُتْبةِ البَدْرِ
خَلَفْتَ الأبَ المَرْضِيَّ خَيرَ خِلافةٍ .:. وقُمْتَ بإمْرِ الله مُمْتَثِلَ الأمْرِ
سَعيدٌ على الإسلامِ أنْتَ وأهْلِهِ .:. فَلا زِلْتَ في سَعْدٍ يَدُومُ وفي نَصْرِ

يهنئ الشّاعر في هذه الأبيات أبا بكر السعيد بالخلافة، ويصفه أنّه صاحب قدر رفيع ومكانة عظيمة، فقدّم له البشريات والتّهنئات لنيله الخلافة، ووصفه بالهلال في العلو والرّفعة، وأنّه مترّج فيهما واصلًا إلى رتبة البدر، وهذا ليس بغريب إذ أنّه ورثه من أبيه فهو خليفة في ذلك، وحاذٍ حذوه. وأضاف أنّه ممتثل لأمر الله تعالى، وبمثل هؤلاء هم سعد الإسلام والمسلمين. فكان النّصر من حقّهم.

وظّف الشّاعر في أبياته السّابقة اللّغة توظيفًا سليمًا، فأحسن اختيار الألفاظ والأساليب المتنوّعة فاستخدم صيغة البناء للمجهول في: "خوِّلت" للعلم بالفاعل وللدّلالة على مكانته. كذلك استخدم الكناية في: دمت قرير العين منشرح الصّدر، وظاهر هذا البيت: جملة فعليّة فعلها ماض، لكن دلالتها الباطنيّة تكمن في أسلوب الدّعاء، فهو يدعو له بالرّاحة وانشراح الصّدر، والاطمئنان.

وفي الأبيات تشبيه بالهلال والبدر. ووجه الشّبه العلو والرّفعة كما ذكرنا آنفًا.

وعلى كلّ حال أكثر الشّاعر لسان الدّين من تقديم التّهاني لخلفاء بني الأحمر، حيث ركّز على الإشادة بهم، وإلى حقهم في الخلافة، فهم من آل سعد ابن عبادة الأنصاري، والحق في انتقالها انتقالًا شرعيًّا من الآباء إلى الأبناء، كما ركّز الشّاعر على صفات الخليفة الجديد التّي جعلته أهلاً للمكانة التّي تبوأها، وإبراز الدّور الدّيني للخليفة في نصرة الإسلام وأهله، وقد بدأت التّهاني عند الشّاعر بصور تقليديّة، من الدّعاء للخليفة، والتّمتع بإقبال الأيّام،وإدبارها، ودوام العافيّة.

3. 3. 2. التّهنئة بالوزارة:

الوزارة من المناصب العليا في الدّولة، والوزارة كما يقول ابن خلدون: "أمّ الخطط السّلطانيّة والرّتب الملوكيّة، لأنّ اسمها على مطلق الإعانة، فإنّ الوزارة مأخوذة إمّا من المؤازرة وهي المعاونة، أو من الوِزر، وهو الثّقل، وكأنّه يحمل مع مفاعله أوزاره وأثقاله، وهو راجع إلى المعونة المطلقة". (ابن خلدون، 1979م، ص236)

ويذكر القلقشندي:" إنّ الوزارة كانت في الزّمن المتقدّم هي أرفع وظائف المملكة، وأعلاها رتبة، وإنّها الرّتبة الثّانية بعد الخلافة وكانت في زمن الخلفاء، تكاد أن تكون كالسّلطة الآن، فهي من الأتباع، ومن في معناهم على نحو ما كانت في الزّمن المتقدّم بين الرّؤساء والأكابر". (القلقشندي، 1987م، ص4)

وتظهر مكانة الوزارة في بلاط بني الأحمر، كما يصوّرها الشّاعر لسان الدّين بن الخطيب فجعل الوزارة نفسها تهنئ الوزير، وأهمّيتها للملك في تهنئة يقدّمها إلى محمد بن موسى الملقّب بـ (السُّبَيْع) (ت 745هـ) بالوزارة، فيمدح الشّاعر الوزير بأنه صاحب عفّة وشرف، وجود وعطاء، وإقدام وحزم، فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص516)

[الطّويل]

أُهَنِّيكَ أم تُهْنَى الوَزَارَةُ إنَّهَا .:. أنَافَ عَليهَا مِنْكَ كَافٍ وَكَافِلُ

لَئِنْ صَغَّرُوا مِنكَ السُّبَيْعَ فإنَّهُ .:. لَتَصْغِيرُ تَعْظِيم بِهِ الفَخْرُ حَاصِلُ

وَمَنْ شَأْنُهُ والله يَرْفَعُ شَأنَهُ .:. عَفَافٌ وإقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلُ

يخاطب الشّاعر محمد بن موسى "السّبيع" مشيرًا: لمن يقدّم التّهنئة أ للممدوح أم للوزارة التّي تُوّجت به. ويضيف أنّ اللّقب الذي لُقّب به "السّبيع" الذي في ظاهره تصغير ليس إلّا لعظمته والفخر به، إذ خالف بذلك دلالة التّصغير المعروفة "التّحقير". وهذا شأن كل من له الرّفعة والمكانة ذاكرًا صفاته من عفاف وكرم

وحزم وما ذلك إلّا فضل من الله تعالى.

استخدم الشّاعر في هذه الأبيات من الأساليب الخبريّة، وأكثر من اسم الفاعل: كاف، كافل، نائل، ليدل على الثّبات والقوّة والقدرة على تحمّل ما كُلّفَ به.

كذلك استخدم العديد من المؤكدات تدعيمًا لما قاله نحو: لئن، واللّام في: لتصغير.

وتحتل الوزارة مكانة مهمّة في الدّولة الإسلاميّة، فقد قال الله تعالى حاكيًا عن موسى عليه السّلام: ﴿واجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾.(طه: 29) ولما في الوزارة من حكمة وأهمّيّة، فقال: ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾.(طه:31) فقد دلّت هذه الآية الكريمة على أن الوزارة تشدّ قواعد المملكة وتنظّم أمورها.

وكان يشترط في الوزير لأهمّيّة منصبه باعتباره وسيطًا بين الملك ورعيّته، القبول والمحبة والرّضى، وأن يكون أمينًا شجاعًا، وأن تتوافر فيه الكفاءة والشّهامة والفطنة والتّيقّظ والدّهاء والحزم، وكذلك الفضل والكرم ليصطنع الأنصار، والرّفق والإناة والتّثبت في الأمور.(الكردي، 1985، ص32)

ومن الأمور التّي يظهرها الشّاعر لسان الدّين في تهنئته لصاحب الوزارة، كما هو الحال في المناصب العليا الأخرى في الدّولة' بيان مدى الرّضى عنه، والإقبال على صاحب هذه المكانة المرموقة يمدح الشّاعر لسان الدّين أبا بكر بن غازي (ت 760هـ)، ويهنّئه بالوزارة، مبيّنًا مكانته وعدله لرعيّته، فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص163-164)

[الكامل]

يَا نُجْعَةَ الوُزَرَاءِ والنُّوَّابِ .:. والمَلْهَمُ المَهدِيُّ لِكُلِّ صَوابِ
وابنَ المَجَادَةِ والسِّيادةِ والتُّقَى .:. والفَضلِ والأَنْسَابِ والأَحْسَابِ
بُشْرَى أَتَتْ مِثلَ الصَّباحِ لِنَاظِرٍ .:. لَمْ تُعْزَ نِسْبَتُهَا إلى كذَّابِ
جَعَلَ الإلاهُ عَلى كمالِكَ عُوذَةً .:. مِنْ ذِكْرِهِ في جِيئَةٍ وَذَهَابِ
يَهْنِيكَ مَا أولاكَ من أَلْطافِهِ .:. في خَلْقِهِ تَجْرِي بغيرِ حِسابِ

يخاطب الشّاعر المهنأ أبا بكر بن غازي ويصفه أنّه مقصد النّواب ونجعتهم وأنّه الملهم والمهدي للصّواب، وأنّه ابن مجد وسيادة، شخص فاضل تقيّ، نبيل ذو حسب ونسب، ويمضي يبشّره بهذه البشرى التّي شبهها بالصّباح في الضّياء وجلاء الظلمة. ومن نعم الله عليه أن جعله حاجة كل محتاج فكل ذاهب أو آيب يأتي إليه طالبًا حاجته.

بدأ الشّاعر أبياته بأسلوب النّداء واستخدم أداته"يا" وهي أداة تستخدم لنداء القريب، استخدمها الشّاعر هنا ليدلّ بها على مكانة المخاطب. كذلك استخدم التّشبيه في: بشرى أتت مثل الصّباح، وصيغة المبالغة في: كذّاب، ليدلّ بها على أنّ هذه البشرى لا يمكن أن يكذّبها أيًّا كان. وصيغة" فِعلة" في: جيئة، ليدلّ بها على الهيئة.

وأكثر الشّاعر في هذه الأبيات من تكرار صوت الباء لقوّته وشدّته فهو دال على العِظم والقوّة مثل:

النّواب، صواب، أنساب، أحساب، بشرى، الصّباح، نسبتها، كذّاب، ذهاب، حساب. وفي هذه الكلمات نسق صوتي مرتّب له موسيقاه.

والشّاعر قد استغلّ ما حملتْه بشرى الوزارة من دلالات معنويّة؛ لتكون جسرًا رابطًا أو منفذًا شعوريًّا ونفسيًّا وفنيًّا بين الوزير وشعبه في آنٍ معًا.

ومن هنا نجد أنّ الاتّجاه السياسي بمختلف أشكاله كان قد شكّل حضورًا واسعًا وفاعلاً في بنائيّة قصيدة لسان الدّين بن الخطيب كأوّل اتّجاه للتّهاني في شعره، إذ استطاع إيراده والنّسج على منواله بشكلٍ حافظ فيه على متانة أسلوبه ودقّة بنائه وحسن سبكه.

4. الاتجاه الاجتماعي في شعر التهاني

يعدّ الاتّجاه الاجتماعي أرحب الميادين لتقديم التّهاني، وبناء العلاقات القائمة على الأخوة والمحبة والاحترام المتبادل؛ إذ تنبّه الشّعراء إلى العديد من المناسبات الاجتماعيّة التّي رأوا فيها محفّزًا لترجمة أحاسيسهم، وانفعالاتهم العاطفيّة إلى لغة موسيقيّة مكتوبة، فكان منها التّهنئة بالعودة من السّفر، والمولود وغيرها؛ لأنّ هذه المناسبات كفيلة بإقامة أسر مترابطة، ومجتمعات متماسكة قادرة على الصّمود في وجه أيّ اختلال يعصف بالمجتمع وبِنيته، ويحاول الشّاعر في تهانيه أن ينتقي أطيب الكلمات وأرقّها، ويزيد من الألفاظ التّي تبهج النّفس وتؤثّر فيها، وهذا ما تنبّه إليه حازم القرطاجني في كتابه" مناهج البلغاء وسراج الأدباء" عندما قال:" فأمّا طرق التّهاني فيجب أن تعتمد فيها المعانيَّ السّارة، والأوصاف المستطابة، وأن يستكثر فيها منُّ التّيمنَّ للمهنأ، وأن يؤتى في ذلك ما يقع وفقته، ويتحذر من الإلمام بما يمكن أن يقع منه في نفس المهنئ بشيء، ويتجنّب ذكر ما في سمعة تنغص له".(القرطاجني، 1966م، ص352)

ومن التّهاني بالمناسبات الاجتماعيّة التّالي:

4.1. التهنئة بالمولود:

تشكّل المواليد مبعث بهجة وسعادة للنّاس، وعامل بناء في العلاقات الاجتماعيّة، ومقوّمًا من مقوّمات بناء الأسر وتماسكها، وتسهم مستقبلاً في إحياء المجتمعات نهضة وتطورًا عندما تسخّر لها الطّاقات، وتفتح أمامها الآفاق، لذا اهتمّت المجتمعات الإنسانيّة كافة منذ القدم بالإنجاب، وتبادل أفرادها التّهاني والهدايا فيما بينها، ولم يكن هذا الأمر بمنأى عن المجتمعات العربيّة، وفي العصور القديمة عند العرب عبّر النّاس عن تهانيهم بالمواليد من خلال نظم الشّعر أسوةً بالمناسبات الاجتماعيّة الأخرى.

ويقدّم لسان الدين ابن الخطيب في إحدى قصائده التّهاني والتّبريكات بمولود رُزق به الخليفة الحجّاج بن نصر، كان منها:(لسان الدّين، 1989م، ص105- 106)

[الكامل]

وَبَشَائِرٌ تَصِلُ النُّفوسَ كأنَّما .:. بَينَ النُّفوسِ وَبينَهَا أنْسَابُ

تأتِي على قَدرٍ فَيخْلُفُ بَعْضُهَا .:. بَعْضًا كَما خَلفَ السَّحَاب سَحابُ

فَاسْعَدْ أَمِيرَ المُسلمينَ بِطَالِعٍ .:. يُنْمَى إليهِ الحَربُ والمِحْرَابُ
وَاشْدُدْ به لأخيهِ أَزْرًا وَارْتَقِبْ .:. مِنْهُمْ أُسودًا والأَسِنَّةُ غَابُ
فإذَا تَسَعَّرَتِ الوَغى وَتَنَكَّرَتْ .:. بهمُ الرِّجالِ دَعوتَهُمْ فَأَجَابُوا
وَرَمَيْتَهَا مِنْهُمْ بِكُلِّ مُجَرِّبٍ .:. ذَلَّتْ لهُ الأَقْرَانُ وَهْيَ صِعَابُ
هُنِّيتَهَا نُعْمَى لَدَيكَ جَلِيلَةً .:. لا يَسْتَقِلُّ بِشُكْرِهَا إطْنَابُ

بشرى لهذه البشائر التّي تصل النفوس وتسرّ بها كأنّ بينهما صلة قرابة، وقد جاءت هذه البشائر بعضها إثر بعض كالسّحاب المتواتر المتتابع. ويخطاب الأمير طالبًا منه أن يفرح بقدوم هذا المولود الذي سيكون له شأن في الحرب والسّلم وأنّه سيكون سنداً لإخوته وشادًّا من أزرهم. وأنّه وأخيه سيكونان مهابين في الحرب، شجاعين، كالأسُد الضّاربة فإذا حمى الوطيس واشتدّت الحرب ودعوتهم سيلبّيان هذه الدّعوة وهذا النّداء دون تردّد. فهم فرسان مجرّبون تتضعضع لهم الرّؤوس وتذل لهم أعتى الأقران. ويختم مهنئًا أنّ هذه النّعمة العظمى مهما طال الحديث لا يمكن شكرها.

وفي الأبيات أكثر الشّاعر من استخدام الأساليب البلاغيّة مختلفة الدّلالات. فأحسن توظيف الانزياح اللّغوي أو الانحرافات اللّغويّة. فنجد التّشبيه في: كأنّما بين النفوس وبينها أنساب. وفي: كما خلف السّحاب سحاب. وفي: وارتقب منهم أسودًا والأسنّة غاب.

كذلك نجد الكناية في: فإذا تسعّرت الوغى وتنكّرت. وفي: ورميتها منهم بكل مجرّب ذلت له الأقران وهي صعاب. وأتى الشّاعر بأسلوب الانشاء في: فاسعد أمير المؤمنين بطالع، واشدد به لأخيه أزرًا. وهي أفعال أمر دالة على الطّلب.

وأكثر في أبياته من استخدام صوتي الأف والباء كما في: أنساب، سحاب، محراب، غاب، أجاب، صعاب، إطناب. وفي ذلك دلالة على الوضوح ولفت الانتباه والتّنبيه لهذه البشرى التّي جيء بها.

اختار الشّاعر كلمة: ارتقب بدلًا عن: انتظر، ذلك لأنّ دلالتها تكمن في توقّع حصول الشيء عمّا قريب والاستعداد له. أمّا انتظر فتكمن دلالتها في الانتظار والمكث أملًا في المطلوب.

وفي موضع آخر يهنئ الخليفة الحجّاج بن نصر بمولود له، مقدّمًا له بشارة تقرّ بها الدّنيا، مقدّمًا إلى أعلى النّاس شرفًا، إذ أنّه من سلالة سعد بن عبادة الأنصاري، فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص533)

[البسيط]

بُشْرَى تَقُومُ لَها الدُّنيا على قَدَمِ .:. حتَّى بِهَا الله حَيَّى النَّصْرِ في القِدَمِ
ويا أميرَ الهُدَى هُنِّيتَهَا نِعَمًا .:. مَوْصُولَةَ العِدِّ قد جَلَّتْ عنِ النِّعَمِ
فَأَهْنَأَ بِغُرَّةِ سَعْدٍ طَالِعٍ لِبَنِي .:. سَعْدٍ بِعِزٍّ جَدِيدٍ غَيْرِ مُنْصَرِمِ
وَدَامَ نَجْلُكَ لا تَنْفَكُّ تَحْرُسُهُ .:. عَينٌ من الله لَمْ تَهْجَعْ ولَمْ تَنَمِ

يهنئ الشّاعر الحجّاج بمولدٍ له ويشير إلى أنّه نعمة عظيمة وجليلة من الله سبحانه وتعالى، وكما قيل"

نعم الإله على العباد كثيرة وأجلهنّ نجابة الأبناء". وأنّ بمقدم هذا المولود جاءت البشارات، ويخاطبه أنّه لا خوف عليه ما دام محروسًا ومحفوفًا برعاية المولى عزّ وجل.

استخدم الشّاعر في هذه الأبيات طباق الإيجاب في: سعد وسعد. وأكثر من استخدام الأفعال المضارعة: تقوم، تنفك، تحرس، تهجع. وفيها دلالة على التّجدّد.

وقال يهنئ الوالي الحسن بن بَطَّان(ت 788هـ) بمولوده عبد الواحد، حائز قصب السّباق، في كثيرٍ من الخصال الحميدة، بعد اغتراب وشدّة وانْبِتَاتٍ بالبلاد الشّرقيّة. (لسان الدّين، 1989م، ص162)

[البسيط]

يَهْنِيكَ مَقْدَمُ عبد الواحد ابنكَ عَنْ .:. مَطْلٍ بوعدٍ مِنَ الأيَّامِ مَرْقُوبِ
كَيُوسُفٍ كان فِعْلُ الزَّمانِ به .:. وَكُنتَ في البَثِّ والشَّكْوَى كَيَعْقُوبِ

يهنئ الشّاعر الوالي الحسن بقدوم ابنه الذي جاء إليه بعد أيّام بلغ فيها من الشّكوى ما بلغ فقد كان البثّ والشّكوى كيعقوب، وفي ثباته كيوسف- عليه وعلى أبيه السّلام- وما صاحب أيّامه من بأس ومكائد، توّجت بالفح والبهجة. وظّف الشّاعر مرتكز الاختيار في اختياره للفظ "يوسف".

ويقدّم لسان الدّين تهنئة إلى قائد الأسطول القاسم بن أبي بكر(ت 790هـ) بمولود أغر، كالبدر في تمامه، ليستمد ماحسن والده من المجد، والقدر، يقول: (لسان الدّين، 1989م، ص359)

[الكامل]

صَدَرَتْ إليك بُشَارَتِي وتَفَاؤُلِي .:. بالأمرِ قَبْلَ بُرُوزِهِ من غِمدِهِ
يَسْتَبْشِرُ الأسطُولُ مِنهُ بِقائدٍ .:. كالبَدْرِ تَحْتَ شِرَاعِهِ أو بَنْدِهِ
والبحرُ يَفْخَرُ مِنْهُ يَومَ وِلادَةٍ .:. بِمَلَنْدِهِ ابْنِ مَلَنْدِهِ ابْنِ مَلَنْدِهِ

وما يمكن لنا أنْ نلاحظه ونبرزه من النّاحية الأسلوبيّة ذلك التّكرار لكلمة (ابن منلده)، إذ إنّ تكرارًا صوتيًّا كهذا من شأنه أن يعمل على "تشكيل نظام موسيقي ذي ميزة غنائيّة تخدم إغناء الصّورة وجعلها تتحرّك مساحة النّص بحيويّة جذّابة". (عبده، 2006، ص153) فضلًا عن " أنّ النّسق الصّوتي والدّلالي الذي يتمّ إبرازه بفعل هذه التّقنية الأسلوبيّة يعمل على تجمع العناصر المتشابهة في النّصّ؛ لخلق موازنات صوتيّة من خلال أركام تلك الموازنات في بؤرة دلاليّة واحدة تكشف المعنى المراد". (الصميدعي، 2010م، ص203) ومن ثمّ فشعر التّهاني الذي قدّمه الشّاعر بالمواليد كان وسيلة لمدح آبائهم وأجدادهم، وبيان محاسنهم وصفاتهم الحميدة، والنّظر إلى المواليد بأنّهم سيكونون أهلًا لهذه المحاسن في المستقبل، كما أنّهم الأمل المرجو في تحقيق ما لم يستطع الأهل تحقيقه. ومن ثمّ فهو تعزيز للمعنى وتوثيق له من ناحيتَي البنية والدّلالة.

4. 2. التّهنئة بالقدوم من السّفر:

اهتمّ الشّاعر بأدب التّهاني- ليحظى القادمون من السّفر- بنصيب ما أبدعه الشّعر من تصوير حسن

مقدمهم، وحميم لقائهم، وحرارة التّهنئة بعد معاناة مرارة الفراق، وألم البعد، بسلامة العائد، وحسن مقدمه الذي ابتهج له المحبون، وإظهار أهميّة تواجده ومكانته بينهم، وبخاصّة إن كان من الخلفاء، أو ذوي الشأن والمكانة، لتنهال عليه التّهاني كانهيال العارض على الأرض الجرداء.

ولا يبعد في أن تكون التّهاني بالقدوم من السّفر مقرونة بشيء من الثّناء وذكر بعض الإنجاز والآمال، وتصوير العائد بأحسن الأحوال، وأيمن الطّالع، كما نجد ذلك في تهنئة لسان الدين لعمر بن عبد الله (ت763هـ) وقد قدم من بعض أسفاره، فقدومه هذا قد جلب معه السعد والخير للناس. يقول: (لسان الدّين، 1989م، ص435)

[الوافر]

هَنِيئًا بِالقُدومِ من الزِّيارَةْ .:. وَلُقِّيتَ السَّعَادَةَ وَالبِشَارَةْ

وَقَادَ لكَ الإلهُ خَفِيَّ لُطْفٍ .:. يُبَلِّغُ مَجْدَكَ الأعْلَى اخْتِيَارَهْ

يقدّم الشّاعر التّهنئة بالعودة من السّفر، والاستقبال بالبشارة والسّعادة والفرح، مصحوبة ببلوغ المجد. واستخدم الأساليب الخبريّة، كما أحسن استخدام الفواصل الصّوتيّة.

وفي قصيدة أخرى يستمرّ في تقديم التّهنئة للسلطان عبد الله بن أبي الوليد بن نصر(ت 733هـ) وقد قدم من السّفر، فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص172)

[الكامل]

أمُحَمَّدٌ أبْلَيتَ دِينَ مُحَمَّدٍ .:. حُسْنَى بَقَاءِ الذِّكْرِ مِنْ حَسَنَاتِهَا

هَذِي الجَزِيرَةُ لا تَزَالُ عَزِيزَةً .:. مَحْظُوظَةً بِكَ يَا إمَامَ وُلَاتِهَا

لَمَّا دَعَتْكَ لِنصرِهَا لَبَّيْتَهَا .:. وَرَضِيتَ بَذْلَ النَّفسِ في مَرْضَاتِهَا

فَلْيَهْنِ أنْدَلُسًا قُدُومُكَ إنَّهُ .:. حِرْزٌ لَها مِنْ طَاغِياتِ عُتَاتِهَا

تُنْسِي فَعَالَ أبِيكَ في آبَائِهِمْ .:. والشِّبْلُ نِدّ الأُسْدِ في فَعَلَاتِهَا

في هذه الأبيات يخاطب الشّاعر السّلطان عبد الله بن الوليد بأنّه سائر على نهج النّبي محمد- صلى الله عليه وسلم- فأحسن اتّباعه، مما جعل له سيرة حسنة وذكرى طيّبة، وذكر أنّ الجزيرة" الأندلس" سعيدة ومحظوظة به، فهو إمام ولاتها وراعي قومها. وأشار إلى أنّه لم يُدعَ ولم يُستغث به إلّا أتى ملبّيًا بنفس راضية، تواقة إلى إرضاء الداعي أو المستغيث. ويمضي في تهنئته وتهنئة الأندلس بأن طلّ عليها من يدافع عنها وهذا ليس ببعيد وليس بغريب، فكل ذلك ورثه من أبيه، فالشّجاعة جارية في دمه. وكما قيل: ومن شابه أباه فما ظلم، وهذا الشبل من ذاك الأسد.

وظّف الشّاعر في أبياته اللّغة توظيفًا جيّدًا، فاستخدم همزة الاستفهام في بداية النّص للدّلالة على قرب المنادى ومكانته. كما استخدم الطّباق في: محمد ومحمد. كذلك اختار اسم الإشارة" هذي" للإشارة للقريب. واستخدم أسلوب الشّرط موضّحًا تلازم جملتي الشّرط وارتباطهما كما في: لما دعتك لنصرها

لبيتها. فحدوث التّلبية مقترن بالدّعوة ووقوع الجملة الثّانية مقترن بوقوع الجملة الأولى.

وفي الأبيات كناية في البيتين الأولين، ومجاز في: هذي الجزيرة لا تزال عزيزة محظوظة... علاقته المحليّة حيث أطلق المحل" الجزيرة" وأراد أهلها. كذلك هناك استعارة في: لما دعتك لنصرها، وفي: فليهن أندلسًا قدومك. والتّشبيه في: والشّبل ندّ الأسد.

استخدم الشّاعر الأصوات المهموسة كصوت الهاء مصحوبًا بالألف، فيه دلالة موسيقيّة إيقاعيّة وجرس صوتي كما في: حسناتها، ولاتها، مرضاتها، عتاتها، فعلاتها. كذلك الجرس الصوتي لصوت السين في: حسنى، حسنات، نفس، أندلس، تنسي، الأسد. فيه تنفيس وراحة نفسيّة إذ أنّه صوت صفيري استمراري.

ومهما يكن من أمر فإنّ التّهاني بالسّلامة من السّفر من المناسبات الاجتماعيّة التّي كانت ظاهرة في شعر لسان الدين بن الخطيب، حيث إنّ العائد يستقبل بحالة تملؤها الغبطة والسّرور، وذلك بعودته سالمًا معافى، ليظهر الشّاعر معاني حميمة في عودة الغائب، من بيان مكانته التّي يتبوءها، ومحاسنه التّي غابت بغيابه، وحضرت بقدومه، مقرننًا سلامته بصفاته الحميدة التّي يتحلّى بها.

5. الاتجاه الدّيني في شعر التهاني

شكّلت المناسبات الإسلاميّة مادة خصبة للشّعراء منذ صدور الإسلام إلى يومنا هذا وتفاوت إحساسهم بها قوّة وضعفا، عبادة وعادة، ومن أهم هذه المناسبات، رمضان، والعيدين، وغيرهما.

5.1. التّهنئة بقدوم شهر رمضان:

يترقّب النّاس حلول شهر رمضان لما فيه من نفع وفائدة، وإيحاء للقيم العليا، كالصّدق والوفاء والإخاء، وتقديم يد العون، ويتعلّم الإنسان فيه الصّبر والإرادة، والنّظام والانضباط، ويكثّف من عباداته التّي تطهّر النّفس وتزكّيها، ويعم فيه الخير والبركة، ويتبادل فيه الصّائمون أخلص مشاعر الحب والوئام؛ لأنّه فرصة كبيرة للتّوبة، وترك الرّذيلة، والاهتمام بالعبادات وأعمال الخير، إذ تتجلّى فيه العلاقات الاجتماعيّة بين الأسر بأبهى صورها، وأصدق معانيها، ويستذكر الإنسان فيه نزول القرآن الكريم، ويستحضر بعض المعارك والفتوحات المهمّة في التّاريخ الإسلامي، من ذلك غزوة بدر، وفتح مكّة، والقادسيّة، وحطّين، وعين جالوت، ومعنى ذلك أنّ النّصر كان حليفًا للمسلمين في هذا الشّهر المبارك، وذلك لفضله وبركته. يقول لسان الدّين بن الخطيب في هذه المناسبة: (لسان الدّين، 1989م، ص377)

[الطويل]

وللهِ مِنْ صَومٍ قَضَيْتَ حُقُوقَهُ .:. وَزَوَّدْتَهُ المَتْلُوَّ مِنْ مُحْكَمِ الذِّكْرِ
وَصَلْتَ بِهِ لَيلَ التَّمَامِ بِيَوْمِهِ .:. وَنَاجَيتَ منهُ الرّوحَ في لَيلةِ القَدرِ
إلى أنْ تَقضَّى عنك لا عن ملَالَةٍ .:. فَبُورِكَ مِنْ صَومٍ زَكِيٍّ وَمِنْ فِطْرِ
أعَدْتَ لَنا من عَهْدِ أسْلافِكَ الرِّضَا .:. عُهُودًا فَيا طِيبَ الوِصالِ على الهَجْرِ
وَجَدَّدْتَ فِينَا نِعمَةً طَالَ عَهْدُنا .:. بِها فَاجْتَلَيْنَا غُرَّةَ الزَّمَنِ النَّضْرِ

ففي هذه الأبيات إشارة إلى أن الممدوح قد لبى ما دُعي إليه؛ فصام خير صيام، ولم يكتف بالصّيام فقط بل دعّم ذلك بتلاوة القرآن لا سيّما أنه شهر القرآن، وصاحب تلك العبادات قيام اللّيل وإحياؤه ملتمسًا في ذلك الفوز بأعظم ليلة فيه ـ ليلة القدر ـ فأتمّ صيامه على أكمل وجه، وكان صيامًا خالصًا يرجو فيه القبول والرّضا من الله سبحانه.

واستخدم الشّاعر في هذه الأبيات الأسلوب الخبري، وأكثر من الجمل الفعليّة، وعمل على توظيف الضّمائر المحيلة إحالة داخلية في النّص، ونجد أن في تكراره لكلمة (صوم) دلالة على عِظم هذه الكلمة وعِظم ما تدل عليه.

وفي البيت الثّاني إشارة إلى قوله تعالى:﴿ لَيْلَةُ القَدْرِ خَيرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ والرُّحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (القدر: 3-4)

وفي موضعٍ مشابه هنّئه بدخول هذا الشّهر، مبيّنًا مظاهر الاهتمام بشهر رمضان، من قراءة القرآن الكريم، وزيادة الفضائل وأعمال الخير، يقول: (لسان الدّين، 1989م، ص402)

[الطّويل]

تَلَقَّيْتَ شَهرَ الصَّومِ بِالبرِّ والتُّقَى .:. تَودُّ بِأَنْ لا يَنقضِي ذلك الشَّهرُ
وَوَافَاكَ شَهرُ الصَّومِ يُزْهَى بِغُرَّةٍ .:. تَرِفُّ بِها البُشرَى وَيَبْدُو بِها البِشْرُ
أَتَيْتَ مُصَلَّاهُ على قدمِ الرِّضَى .:. وقد عَظُمَ التَّمجِيدُ لله والذِّكْرُ

أوضح الشّاعر في هذه الأبيات الحال الّتي تلقّى بها المخاطب الشّهر العظيم، مبينًا في ذلك الأبعاد النّفسية للمتلقّي وذلك أنه استقبله بالبّر والتّقى والرّضا، واستخدم في ذلك أسلوبًا دالًا على تمني المخاطب استمرار هذه الأيّام المعدودة وعدم انقضائها مستعملًا لفظ (تود) أي تتمنى، حيث نجده نوّع بين الأسلوبين الانشائي والخبري.

ومن الأحوال التّي تكرّرت في شعر لسان الدّين اقتران التّهاني الرّماضانيّة بمدائح الخلفاء والأمراء، ودعوة الشّاعر إلى الاهتمام بمظاهر هذا الشّهر من زيادة الفضائل وأعمال الخير، وبيان قيمة هذا الشّهر الذي يتبادل النّاس فيه التّهاني بدرك المأمول، مظهرين ما فيه من الخير، داعين للمهنأ بنيل أجره، وتعظيم ثوابه، وقبول طاعته.

2.5. التّهنئة بالأعياد الإسلاميّة:

شُرّعت الأعياد عند المسلمين لغايات نبيلة ومقاصد سامية؛ لأنّ فيها تجسيدًا للقيم الإنسانيّة، فبها تغمر السّعادة قلوب النّاس، ويبتهجون لها، والاحتفال بالعيد طقس من العبادات التّي يطهّر الإنسان فيها نفسه، ويشدُّ عضد أخيه، ويتبادل النّاس التّهاني والتّحايا مع الآخرين، ويكون فيها الكثير من اللّقاءات التّي كانت غير قائمة بسبب الخلف أو الغياب، واعتاد المسلمون- تعبيرًا عن فرحتهم بالعيد- صنع الحلوى، وارتداء الثّياب الجديدة، حيث كانوا يتطيّبون بأنفس العطور، ويزيّنون البيوت، ويسرّحون الشّوارع، ويكثرون من الأضاحي، والتّهادي بصنوف من الثّمار والحلوى.

ومن التّهنئة بالأعياد الإسلاميّة التّالي:

5. 2. 1. التّهنئة بعيد الفطر:

كما ألهم شهر رمضان الكريم نفس الشّاعر ووجدانه بما يثير فيه من سمو روحي وحب للخير والبر والتّقوى، كذلك نجد أن عيد الفطر أنتج أدباً غزيراً وشعراً جديداً في أغراض لم تكن موجودة في الشّعر العربي القديم، وأعني بذلك شعر التّهاني والتّبريكات الذي كان الشّاعر يقدّمه إلى الخلفاء، والأصدقاء، والأهل والأحباب.

ويمثّل العيد مبعث سعادة وسرور، فيجد فيه الشّاعر مناسبة لتقديم التّهاني، فهذا لسان الدّين بن الخطيب يهنئ الحجّاج بن نصر بقدوم العيد السّعيد، فيقابل الشّاعر بين أعماله في رمضان من الصّوم، والتّعبّد، إلى الفطر من صلاةٍ وصلاح، مثنيًا عليه بالدّعاء بالخلود ودوام النّعم، وثبات المُلْك، فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص293)

[الكامل]

قَابَلْتَ شَهْرَ الصَّوم مِنكَ بِما بِهِ .:. يَنْهَلُّ من فَضلِ الإلاهِ مَزِيدهُ
فَجَزاكَ بِالأجرِ الجَزِيلِ صِيَامُهُ .:. وَحَبَاكَ بِالنَّصرِ المُؤزَّرِ عِيدُهُ
فَاهْنَأْ بِهِ في الدَّهرِ أسْعدَ قَابِلٍ .:. طَلَعَتْ بِعِزّ المُسلمينَ سُعُودُهُ
لَمَّا مَرَرْتَ إلى مُصَلَّاهُ ضُحىً .:. والتُّرْبُ يَلْثِمُ أخْمَصَيْكَ صَعِيدُهُ
قَضَّيْتَ من حَقِّ الشَّريعةِ مَقْصدًا .:. لَزِمَ المُلوكَ الصَّالِحينَ أكِيدُهُ
فَاخْلُدْ وَدُمْ وانْعَمْ بِسَابغِ نِعْمَةٍ .:. تَتْرَى وَمُلْكٌ لا يُثَلُّ مَشِيدُهُ

في الأبيات السّابقة تدَرّج الشّاعر في وصفه للأحداث مشيرًا إلى أن الحجّاج قد صام الشّهر وأحسن صيامه من إمساك وتلاوة قرآن وقيام ليل، فما كان جزاؤه إلا أن كوفئ وحُبيَ بالنّصر والعيد، وأتبع ذلك بتهنئته والمسلمين بالعيد كما هنّأه قبل بالصّيام، وأشار إليه بالتزامه بالشّريعة ومنهجها، بجانب أنه اتبع سبيل الصّالحين قبله، وصوّر الشّاعر مظهر ذلك اليوم ـ يوم العيد ـ وفرحة المخاطب به، وإحياءه لخطبة العيد، ووقوفه عند المصلى وخلفه المسلمين مصطفين وما صاحب ذلك من دعاء بقلوب خاشعة كلها اطمئنان وسكينة، وختم أبياته بالدعاء له وتبشيره بالنّعم المتتابعة الآتية إليه لامتثاله لأمر الله.

وفي هذه الأبيات نجده يكثر من ذكر الأفعال الانجازية الدّالة على الطّلب نحو (فاهنأ، أسعد، أخلد، دم، أنعم) والعدول عن اللغة المستخدمة بتوظيف الاستعارات نحو (والترب يلثم أخمصيك، أعدت الدهر فيه يافعًا) مما يدل على تمكنه من اللغة والتلاعب بها في صور إبداعية.

وفي موقعٍ آخر، يهنئ لسان الدّين السّلطان الحجّاج بن نصر، بما أنعم عليه بعيد الفطر، وبما وقي من مصاب الدّهر، فيصبح الفطر رسم للسّرور، ويصبح الممدوح خير من يحيى هذه السّنة، فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص95)

[الكامل]

يا أيُّهَا المَلِكُ الذي من رأيِهِ .:. جُندٌ لهُ النَّصرُ العَزيزُ لِوَاءُ
يَهْنِيكَ أسْعَدُ وَافِدٍ ما تَنْقَضِي .:. أيَّامُهُ وَسَعَادةٌ وَبَقَاءُ
عِيدٌ أعَدْتَ الدَّهرَ فيهِ يَافِعًا .:. طَلقًا تَلُوحُ بِوجهِهِ السَّرَّاءُ
لَمَّا بَرزْتَ إلى المُصَلَّى مَاشيًا .:. وَدَّتْ خُدُودٌ أنَّها حَصبَاءُ
وَسَمَتْ إلى لُقْيَاكَ أبْصارُ الوَرى .:. حَتَّى كَأنَّ جَمِيعَهُمْ حِرْبَاءُ
حتّى إذا اصْطَفُّوا وَأنتَ وَسيلةٌ .:. وَسَمَا إلى مَرْقَى القَبُولِ دُعاءُ
مُلِئَتْ صُدُورُ المُسْلِمينَ سَكينةً .:. إذْ ذاكَ وَانْتَاشَ القُلُوبَ رَجَاءُ

صوّر شعر التّهاني بعيد الفطر بشيء من البهجة والغبطة بعد انقضاء شهر رمضان، حيث ركّز فيه الشّاعر على بيان أفعال ممدوحه بهذا الشّهر من العبادة، تقرباً لله سبحانه وتعالى، مقرننًا التّهاني بصفات الممدوح ومحاسنه، والأعمال الّتي تميّزه ، وتعلي من شأنه، فنجد أن التّهاني تقترن إلى حد كبير بالقيم الإسلاميّة والعادات الاجتماعيّة، كما يجعل الشّاعر كثير من هذه التّهاني فرصة لشكر الله على تمام نعمته وفضله في إنهاء الصيام بالإضافة إلى أنها مجالٌ للتّرويح عن النّفس، كما تأخذ التّهاني في كثير من الأحيان معاني تقليديّة، كتمنّي السعادة، والسرور للممدوح، والدعاء له.

2.2.5. التّهنئة بعيد الأضحى :

إنّ لارتباط الأعياد بأداء الفرائض معانى سامية، وذلك ربط فرحة العيد بالتّوفيق في أداء الفرائض، لذلك فإن العيد يعدّ من شعائر العبادة في الإسلام، لهذا حظي عيد الأضحى باهتمام الشّاعر لسان الدّين بن الخطيب، فقد عُني الشّاعر بإزجاء التّهاني في هذه المناسبة السّعيدة مقدمًا التّهاني لممدوحه بالعيد. كقوله في تهنئته للحجّاج بن نصر: (لسان الدّين، 1989م، ص578)

[الكامل]

أضْحَى بِكَ الأضْحَى وَقَدْ طَلَعَتْ بِهِ .:. شَمْسُ الضُّحَى وَكِلاهُمَا شَمْسَانِ
وَمَدَدْتَ للتَّقْبيلِ يُمْنَاكَ التِّي .:. هِيَ وَالحَيَا في نَفْعِهَا سِيَّانِ
شَكَرَتْ لَكَ الدُّنيا صَنِيعَكَ عِنْدَهَا .:. لَمَّا شَفَيتَ زَمَانَةَ الأزْمَانِ
بُشْرَاكَ إنَّ الله أكْمَلَ عِيدَنَا .:. بِالعَفْوِ مِنْكَ وَمِنْهُ بِالغُفْرَانِ
عِيدٌ أعَادَ على الزَّمانِ شَبَابَهُ .:. فَاعْجَبْ لِأشْمَطَ عِيدَ في رَيْعَانِ

وفي الأبيات يمدح الشّاعر ممدوحه ويهنّئه بعيد النّحر، معليًا من شأنه في جعله صاحب المكانة العالية، الذي لا يُلحق بمجده، مصوّرًا مشهد الرعية وتهنئتها للمدوح بالعيد، وذلك بتقبيل يده التي شبهها بالحيا من حيث العطاء والفيض، ولم يقف على ذلك بل استخدم الانزياح اللغوي وذلك بتصويره شكر

الدنيا للمدوح ورضاها عنه، ونجده يختار لفظ (العفو) مخاطبًا به الممدوح إذ هو في منصب قوة أمام قومه، فكان العفو منه خير له ولرعيته دالًّا في ذلك معنى: (العفو عند المقدرة) في حين استعمل لفظ (الغفران) لله سبحانه، خير استعمال إذ يليق بجلاله الغفران دون غيره. ووظف الشاعر الصور البيانية خير توظيف وذلك عند استعماله للآتي: هي والحيا في نفعها سيان، شكرت لك الدنيا، أعاد الزمان شبابه) هذا إن دل إنما يدل على تمكن الشاعر من اللغة.

وفي قصيدة أخرى يهنئ السّلطان الحجّاج بن نصر بعيد الأضحى، جامعًا بين بشرى الفتح، وطوي البعد عن الشّوق، ليصل إلى تهنئته بالعيد الذي وافاه بالسّعد، وذلك بعد انتصاره في إحدى غزواته، فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص485)

[الطّويل]

هَنِيئًا لكَ العِيدُ السَّعيدُ فإنَّهُ .:. أتَاكَ بِبُشْرَى الفَتحِ قَبْلَ اتْصَالِهِ

طَوَى البُعدَ عَنْ شَوقٍ وَحَثَّ رِكابَهُ .:. وَأوْشَكَ في مَغنَاكَ حَطَّ رِحَالِهِ

يقدم الشّاعر في هذه الأبيات تهنئة بالعيد المبارك مستخدمًا الأسلوب الخبري (هنيئًا لك العيد...) ويشير إلى أن آتٍ بالبشرى والنّصر وعدل بعد ذلك عن اللّغة غير المألوفة عند اختياره للاستعارة بقوله (حط رحاله) وأشار إلى أن بمجيئه يطوى البعد والشوق.

6. التهنئة بالأعياد غير الإسلاميّة:

ومن أنواعها التّهنئة بأعياد الفرس، فمن المعروف أنّ الأمة الفارسيّة ارتبطت بأوثق الروابط وأقوى الصلات بالأمة العربيّة، وتبادلت المنافع، والتّجارة، وقامت بينهم الحروب، والعلاقات السّياسيّة، فأثّر الفرس في العرب وتأثّروا بهم، وهذه الصّلات بين الفرس والعرب قديمة، ترجع إلى زمن قديم سابق على الإسلام، وذلك بسبب الجوار بين البلاد العربيّة والفارسيّة، والاختلاط والتّبادل، والمشاركة في الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة بين شعوبها، مما أدّى ذلك إلى التّرابط والتّعاون بين الأمم، ودفع الشّعوب إلى التّأثر بعضها في بعض، سواء في آدابها، أو ثقافتها، أو في تقاليدها وعاداتها.(الصّياد، 1972م، ص5-6)

ومن أهمّ الأعياد الفارسيّة التّي أصبحت موضع احتفاء عند العرب، عيد (النّيروز). نوروز كلمة فارسية، مركبة من لفظين: أولهما "نو" أي "الجديد" وثانيهما "روز" أي "اليوم"، إذن فكلمة "نوروز" في اللّغة تأتي بمعنى اليوم الجديد، أما في الاصطلاح، فتطلق على عيد رأس السّنة الفارسيّة الذي يقع في اليوم الأوّل من فصل الرّبيع. (الصّياد، 1972، ص13)

وقيل: إن أوّل من اتّخذ "نوروز" هو (جم شاد): أحد ملوك الطّبقة الثّانية من الفرس، وإن سبب اتّخاذهم لهذا اليوم عيداً، أنّ الدّين كان قد فسد قبله، فلما ملك جدّده وأظهره، فسمى اليوم الذي ملك فيه "نوروز"، أي اليوم الجديد.(سيد صادق، 1994م، ص273)

عيد النيروز من المظاهر الّتي تأثّر بها العرب بالفرس، فقد سرت هذه العادات والتّقاليد في العهود الإسلاميّة، وأثّرت في المجتمع الإسلامي، وشارك الخلفاء رعاياهم في الاحتفاء بالأعياد الفارسيّة.

والنّيروز عرف بالبهجة والسّرور في النّفوس، فقد كان رمزًا للسّعادة، والجمال، وراحة النّفس، وفي هذا قال لسان الدّين بن الخطيب في قصيدة نيروزيّة يهنّئ فيها السّلطان الحجّاج بن نصر، وقد أتت إليه وفود الأعداء من أجل السّلْمِ والمُهادَنَةِ. فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص271)

[الطّويل]

زَمَانُكَ أَفْراحٌ لَدينَا وأعيادُ .:. فَعِيدٌ ونَيْرُوزٌ سَعِيدٌ وَمِيلَادُ

وَيَهْنِيكَ نَيْرُوزٌ سَعِيدٌ قد انْقَضَى .:. أَتَتْكَ على آثَارِهِ مِنْهُ أَعْدَادُ

أَتَاكَ على عِلْمٍ بِجُودِكَ في الوَرَى .:. فَأَمَّلَ مِنْ جَدْوَاكَ ما هُوَ يَعتَادُ

ومَا هُوَ إِلَّا رَائِدٌ لِبِشَائِرٍ .:. فَلازَالَ يَحْدُوهَا إليكَ وَيَقْتَادُ

يخاطب الشّاعر الحجّاج بن نصر ويقدّم له التّهنئة بعيد النّيروز، ويشير إليه أنّ زمانه هذا زمان توالت فيه الأعياد والأفراح، كأعياد النيروز وأعياد الميلاد وهي من الأعياد الفارسيّة، وقد جاءت الوفود من أجل التّهنئة.

كرّر الشّاعر صوت الزّاي في: زمانك ونيروز، ليدلّ به على الاضطراب والهِزّة التّي في النّفس بسبب الفرح بأعياد الميلاد والنّيروز. كذلك نجد تكرار صوت الألف الدّالّ على لفت الانتباه، وصوت الدّال، الدّالّ على المشاعر الجيّاشة القويّة، وهو من الأصوات التّي تمتاز بصفة الجهر والشّدة.

وفي قصيدة أخرى يهنّئ فيها السّلطان الحجّاج بن نصر بالنّيروز متمنّيًا له رفيع ملكه وسما عُلوّه، فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص652)

[السّريع]

وَهْنَأْ بِنَيْرُوزٍ مَسَرَّاتُهُ .:. قد أَصْبَحَتْ أَبْوَابُهَا شُرَّعَا

دُمْتَ رَفِيعَ المُلْكِ سَامِي العُلا .:. ما طافَ بِالبيتِ امْرُؤٌ أو سَعَى

يقدّم الشّاعر التّهنئة بعيد النّيروز، الذي فتحت على إثره أبواب الأفراح والمسرّات. واختار الشّاعر كلمة شرّعًا ليدلّ بها على عمق المعنى إذ أنّها ألبغ من كلمة فتح فعندما نقول: "الباب مشرّع" أبلغ من الباب مفتوح. فكلمة مشرّع أو شرّعًا دالّة على زيادة الفتح.

كما استخدم الجملة الفعليّة: دمت رفيع الملك سامي العلا... للدّلالة على الدّعاء وهو ما يفهم من السّياق. فهو يدعو له بدوام الرّفعة والملك والعلا.

وشقّ النّيروز لنفسه احتفالاً رائعًا، ليشيع فيه ظاهرة الهدايا، فيغدو موسماً خصباً لتقديم الهدايا، سواء كان ذلك للخلفاء، أو الأمراء، أو الأصدقاء، ولعل ذلك كنوع من التّعبير عن الودّ والصداقة، أو أنها مكان لنيل العطايا والتّكسب وبخاصة من الخلفاء، كما تحمل هذه الهدايا دلالات معنويّة أو ماديّة، فلهذه الهدايا أثر في النّفس، فهي تقرّب القلوب، وتوثّق العلاقات، وتزيل الضّغائن، وقد قيل عنها: (الهديّة تفتح الباب المصمّت، وتسل سخيمة القلب). (الجاحظ، 1887م، ص235)

القصائد من أجمل الهدايا الّتي قدّمها الشّاعر بهذه المناسبة، فهي تحمل دلالات معنويّة في نفس المهدى إليه، فهي تعلي من شأنه، ومنها ما قدّمه لسان الدّين بن الخطيب إلى السّلطان الحجّاج بن نصر قصيدة يوم نيروز، مبيّنًا محاسنه، فهو صاحب عطاء كثير، وفضل وهبة، يرقى على مستوى البشر، ليتّخذ الشّاعر من هذه المناسبة فرصة للتّهنئة والتّودّد إلى ممدوحه بذكره لمثل هذ الصّفات، فيقول: (لسان الدّين، 1989م، ص676)

[الطّويل]

أَمَوْلَايَ زَارَتْكَ القَوافِي كأنّهَا .:. هَدِيٌّ تَهَادَتْهَا القِيانُ إلى الزَّفِّ

أَتَاكَ بِهَا النَّوْرُوزُ مُعْتَرِفًا بِما .:. لِمُلْكِكَ فِيهِ مِنْ نَوَالٍ ومِنْ عُرْفِ

فَهُنِّيتَهُ والدَّهرُ طَوْعُكَ والمُنَى .:. تُوافِي بِمَا تَهْوَاهُ ضِعْفًا على ضِعْفِ

يشير الشّاعر في هذه الأبيات إلى أن القوافي والقريض جاءت مهداة إلى ممدوحه كالهدايا التّي تتهاداها القيان في الزّفات، وقد جاء بها النّيروز، وقدّمت هذه الهدايا للمدوح لأنّ له الأحقيّة في ذلك فهو ملك صاحب نوال وعطاء. كذلك يشير إلى أنّ الدّهر يأتيه ملبّيًا لطلباته وأمنياته.

استخدم الشّاعر أداة النّداء" الهمزة" في أول النّص لمناداة القريب وهذا إن دلّ إنّما يدلّ على المكانة الرّفيعة.

وأكثر من استخدام الأصوات المجهورة الدّالّة على القوّة وعلى عظمة العيد في نفوس الفرس إضافةً إلى الأصوات المفخّمة. كذك استخدم اسم المفعول " معترفًا" ليدلّ به على المطاوعة.

وأكثر من استخدام صوت التّاء في: زارتك، تهادتها، أتاك، معترفًا، فهنيته، توافي، تهواه. وفيه دلالة على الاستمراريّة.

وعلى كل حال كان عيد النّيروز عند الشّاعر لسان الدّين بن الخطيب شأن كبير من الاهتمام، فقد أصبح من العادات الّتي يحرص على الاحتفال بها، مقدّمًا التّهاني بمقدمه الذي يستبشر به، وغدا مناسبة مهمّة لدى الشّاعر الذي يتقرّب بتهانيه إلى الخلفاء والأمراء، ويصبح وسيلة من وسائل التّقرب والتّحبب لديهم، مصورًا ممدوحيه بأحوال مختلفة، تملؤها الصّور المشرقة كإشراق النيروز، متمنّيًا قدومه وهم بأفضل الأحوال وأتمّها، كما نجد أنّ من مظاهر الاحتفال بهذا العيد تقديم الهدايا الّتي أصبحت كأنّها واجب اجتماعي يهتمّ النّاس بتقديمه، سواء كانت الهدايا من القصائد والمديح، أو غيرها.

7. خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، والصّلاة والسّلام على النّبيّ المصطفى وعلى آله وأصحابه المستكملين الشّرفاء، وبعد:

جاءت هذه الدّراسة تحت عنوان: (شعر التّهاني للشّاعر لسان الدّين بن الخطيب في بلاط بني الأحمر بمدينة غرناطة الأندلسيّة)، ومن هنا توصّل الباحث إلى عددٍ من النّتائج، منها:

1) حمل شعر التّهاني عند لسان الدّين بن الخطيب دلالات عميقة تتيح قراءة مجتمع بني الأحمر من وجهات مختلفة: سياسيّة ودينيّة واجتماعيّة .

2) تميل أشعاره التّي قيلت في التّهاني إلى الرّقة واللّيونة والسّهولة واليسر في التّعبير.

3) غالبًا ما كان شعره في التّهاني موجّهًا لأصحاب السّلطان والجاه، وذوي المناصب الرّفيعة في الدّولة.

4) تقلّ التّهاني في شعره في الاتّجاه الاجتماعي، وذلك بسبب رحلاته المتواصلة ما بين الأندلس والمغرب لأمورٍ سياسيّة، بفضل منصبه السّياسي في دولة بني الأحمر ألا وهو منصب (الوزارة).

5) شُحّ التّهاني بالأعياد غير الإسلاميّة في شعره، باستثناء عيد النّيروز، ولعلّ ديانته الإسلاميّة كانت سببًا في ذلك.

6) تضمّنت قصيدة التّهاني عنده موضوعات متعدّدة كالمديح والغزل، وغيرها.

توصي الدّارسة بمزيدٍ من الدّراسات حول شعر التّهاني في بلاط المدن الأندلسيّة الأخرى.

8. المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن خلدون: عبد الرّحمن بن خلدون، (1979م). *مقدّمة ابن خلدون*، (ط2، ج1) دار الفكر، بيروت.
- الجاحظ: أبو عثمان، عمرو بن بحر، (1986م). *المحاسن والأضداد*، (ط1) دار إحياء العلوم، بيروت.
- زكي: زكي المحاسني، (1985م). *شعر الحرب في أدب العرب*، (ط2) دار المعارف، مصر.
- سيد صادق عبد الفتّاح، (1994م). *أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات*، (ط1) دار المعارف، القاهرة.
- الصّميدعي: جاسم محمد الصّميدعي، (2010م). *شعر الخوارج (دراسة أسلوبية)*، (ط1) دار دجلة، الأردن.
- عبده: علي محمد عبده، (2006م). *الشّعرية الأندلسية، عصر بني الأحمر أنموذجًا*، (ط1) كلية التربية، جامعة الأنبار.
- فؤاد عبد المعطي: (1972م). *النوروز وأثره في الأدب العربي*، (ط1) دار الفكر، بيروت.
- القرطاجني: محمد الحبيب بن الخوجة، (1966م). *مناهج البلغاء وسراج الأدباء*، (ط1) دار الكتب الشّرقيّة، تونس.
- القلقشندي: يوسف علي، (1987م). *صبح الأعشى*، (ط1، ج1) دار الفكر، بيروت.
- الكردي: إبراهيم إسماعيل، (1985م). *نظام الوزارة في العصر العبّاسي الأول*، (ط1) مركز الإسكندريّة للكتاب، مصر.
- لسان الدّين: لسان الدّين بن الخطيب، (1989م). *الدّيوان*، (ط1) دار الثّقافة للطّباعة والنّشر، دمشق.
- مسلم: الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم (1980م). *صحيح مسلم*، (ط1، ج1) دار السلام، القاهرة.
- مطلك: حيدر لازم مطلك، (1987م). *المكان في الشّعر العربي قبل الإسلام*، (ط1) كلية الآداب، جامعة بغداد.
- المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، (1968م). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب*، (ط1، ج7) ، دار صادر، بيروت.